الفتح الثامن :

القرآن والكون والإنسان

الوصف القرآني للكون دليل على عظمة الخالق – سبحانه وتعالى – وآية عظمى على صدق هذا الكتاب الذي :﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: 42] ، وقد وجهنا القرآن إلى أن نتأمل ما خلق الله وأبدع وصوَّر لنرى في عظمة المخلوقات دليلاً على عظمة الخالق .

وهذا الكون الفسيح الذي نعيش في جزء ضئيل منه ملئ بالحقائق وآيات القدرة ، قال الله تعالى :﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر:57] .

والتأمل في الكون للوقوف على أسراره ونواميسه سبيل قويم للإيمان ، قال تعالى :﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية:3 – 6] .

ولفت القرآن انتباه الإنسان إلى حقائق هذا الكون ومعالم القدرة الإلهية في أنحائه ، من ذلك قوله تعالى :﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:59] . والغفلة عن حقائق الكون ومعالمه وآياته جهل يعيبه القرآن ، لأنه دعانا إلى بناء المعرفة على البصر العميق في الكون ، والبحث المتواصل فيه ، قال الله تعالى :﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت :20] .

وعشرات الآيات التي تتعلق بالكون وما فيه تلفت انتباه الإنسان إلى تأمل آيات القدرة والانتفاع بأسرارها ، فحديث القرآن عن نزول الماء بقدر ، وأنه آية من آيات الله ، يوجب على المسلم أن يقف متأملاً هذه الحقائق باحثًا عن كنهها ، وهكذا جعل الله منه كل شيء حي في شتى المخلوقات التي تحت سمعنا وبصرنا في الكون ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل:48] ، وقال الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:21- 22] .وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:10- 11] .

إن على الإنسان أن يزيد من معارفه عن الكون ومادته وطاقاته ، عن كواكبه ونجومه ، عن مجراته وسدمه عن قوانينه ونظامه في الأفلاك والذرات ، عن الكائنات الحية فيه ، عن الكائنات الحية العاقلة ، عن الإنسان وبنائه العضوي والعقلي .. إلخ . على الإنسان أن يسلك طريقًا معرفيًا – نظريًا وتجريبيًا – من خلال الكون الذي يحيا في كوب من كواكبه في مجموعة من مجموعاته في مجرة من مرجاته ، فيما هو منظور له ، من أفق المنظور واللامنظور لتزداد معرفته بالمخلوقات وبالتالي بالخالق . يقرأ آيات الكون المسطور بأحرف من نور في كتاب الوجود ، يلج بعقله وبروحه آفاق هذا الكون الفسيح الممتد وآفاق نفسه من كونه ، ليرتقي في معارج المعرفة والعلوم ويقترب من معرفة معاني الإله الحق بتجليه في صفاته بعيدا عن الأوهام والتخيلات والتصورات القاصرة ، وعلى أساس من الحقائق المقررة بواسطة النشاط العقلي المؤمن المستمر في تعامله مع

قوانين المادة وقوانين الطاقة وقوانين الأحياء التي وصفها الله بيقين العلم والشهود .

ما ذكرناه هو أمثلة فقط من الموضوعات التي تناولتها آيات القرآن العظيم والتي تشمل مسائل وموضوعات وأمور أخرى كثيرة غيرها من مثل رفع السماء بغير عند (الجاذبية) وإمساك السماوات والأرض أن تزولا (طاقة الربط)ونظام المجموعة الشمسية وموقع كوكب الأرض التي وضعها الله للأنام وسبح أي سير الشمس والكواكب في أفلاكها بانتظام في نظام محكم ومنازل القمر وتأثيره في المد والجزر واعتباره نور لا يضيء بذاته أي بطاقة ذاتية وإنما يستمد من الشمس السراج المنير .وأبواب السماء ما هي وما معناها ؟ وقدرات الإنسان العقلية وصلتها بالحواس والإدراك وصلتها بالحواس والإدراك الزائد على الحواس وظواهره المختلفة (E. S.P) والخلق والخلق الإنساني كيف بدأ وكيف يكون عن طريق التكاثر الجنس والتكوين الخلوي من النطفة من المني عند الذكر ..والعلق الذي يلعب الدور الأساسي في عملية حمل المرأة وعملية التكون الجنيني للطفل داخل رحمها (بداية سورة العلق أول ما نزل من القرآن) وكما يقول الدكتور المهندس محمد الحسيني إسماعيل في كتابه «الحقيقة المطلقة» (فعلقة يعني الحيوانات المنوية للرجل فهي كالعلق أي الدود الرفيع «هذه حقيقة علمية»وعندما يتثبت الحيوان المنوي ببويضة الأنثى فقد «علق» بها «وهذه حقيقة علمية ثانية» وعندما تتثبت البويضة الملقحة بجدار رحم المرأة فقد «علقت» به «وهذه حقيقة علمية ثالثة» وعندما تبدأ البويضة الملقحة في الانقسام تأخذ شكل قطعة الدم الغليظ أو الدم الجامد وهذه «علقة أيضًا» « وهي حقيقة علمية رابعة » وهكذا فالقرآن المجيد يستخدم الكلمات الجامعة التي تنطبق على الجزئيات والكليات معًا وهذا هوالفارق بين الفكر البشري المحدود والفكر الإلهي اللامحدود) .. انتهى .

وتناولت الآيات القرآنية التطوير في الخلق الجنيني حتى (الخلق الآخر) فيما هو ممنوح للإنسان من قدرات وطاقات (اللروح) ولكن وما هي الروح ؟ ..

لا نعلم على الوجه الكامل الصحيح والدقيق لأن علومنا مازالت قليلة لا ترقى إلى المستوى الذي يؤدي بنا إلى المعرفة بذلك .. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:85] .

ثم الظاهرة الخاصة (بالبحر اللجي) أي العميق وما فيه من أمواج مرتفعة ارتفاعًا هائلاً في أعماقه وما يعلو ذلك من أمواج سطحية ، وكما ذكر القرآن العظيم :﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:40] . وفي وصف للنبي ذكر حقيقة أن تحت البحر نار وتحت النار بحر في أعماق المحيط كما في المحيط الهادي في أعماقه البعيدة جدًا .

وأذكر الحالات التي يتعرض لها الإنسان الذي يحضره الموت الفيزيقي أو الإكلينيكي ..وهي حالات لا تنطبق عليها القوانين الفيزيائية المعروفة للعلماء ..وقد عرفها الدكتور / رايموند مودي(1) في كتابه «الحياة بعد الموت» (LIFE AFTER DEATH) «والحياة بعد الحياة» (REFLECTIONS ON LIFE AFTER LIFE) ويقول عنها القرآن العظيم :﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة:83- 85] .

وكما في يوم الوعيد الذي يكون فيه النفخ في الصور – وحقيقته غير معروفة – يقول القرآن العظيم :﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(1) (RAYMOND MOODY) في تجارب الموت الإكلينيكي .

[ق:22] (1). ثم أذكر باختصار ما يقوله القرآن العظيم عن (الذرة –)أساس البنية الكونية المعروفة .

القرآن والذرة :

تناولت آيات القرآن المجالات التي تبحثها ميكانيكا وفيزياء الكم والمجالات التي تبحثها النسبية العامة ،وهي الكائنات والأشياء اللامتناهية في الصغر والكائنات والأشياء اللامتناهية في الكبر وكلاهما أساس البنية اكلونية وكلاهما داخل في محتوى علم الإله الخالق الشامل الواسع والمحيط الذي يسع كل شيء جملة وتفصيلا في جزئياته وكلياته ، فقد استعمل القرآن العظيم حقيقة «الوزن الذري» في سورة الزلزلة حين يقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ، وذلك عند ميزان أعمال كل إنسان التي يحاسب عليها يوم القيامة ،وكذلك أشارت الآيات إلى الجزئيات والحبيبات الدقيقة الأصغر من الذرة المكهربة في تكوينها الداخلي في أعماقها فيما مثلاً مالا كتلة له كالفوتون وغيره وفي نفس الوقت أشارت الآيات إلى الكائنات والأشياء الامتناهية في الكبر نذكر في سورة لقمان مثلاً : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:16] . ، وذكر في سورة الأنبياء: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:47] . وذلك أنه إذا نسينا مثقال حبة الخردل فيحجمها ووزنها إلى (صخرة) فإ، الأمر قد يمكننا قياسه أو غدراكه أما إذا نسينا مثقال حبة الخردل في حجمها ووزنها إلى (الأرض) فإن الأمر يصعب أن لم يكون يستحيل قياسه أو إدراكه .

(1) تحدثنا عن الظواهر المصاحبة للموت الإكلينيكي كما ذكرها الدكتور : رايموند مودي في كتابه ، وذلك في كتابنا «الإسراء والمعراج وعلوم العصر» وناشره دار الكتاب المصري اللبناني .

أما إذا نسبنا حجم وزن مثقال حبة الخردل إلى (السماوات) أي الكون في اتساعه الشاسع فإن المر يكون فوق كل قياس أو إدراك أو تصور أو تخيل أو افتراض نظري وتفسيره حينئذ لا يخضع لاعتبارات فيزيقية بحتة .

وفي كل ما سبق يقول القرآن العظيم : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يونس:61] . ، فالآية تشير إلى موجودات أصغر من الذرة من مثل ما اكتشفناه مؤخرًا فقط من البروتون والنيوترون والفوتون والكواركس وغيرها مما يدرس ميكانيكا وفيزياء الكم (Quantum) وضمن (Highenergy – Particle Physics) فيما تخصص وتفوق فيه العالم الكبير مؤلف كتاب «موجز تاريخ الزمن» وترجع فكرة أو مفهوم الذرة على الفيلسوف اليوناني ديموقراط () (460– 370 ق . م) الذي كان يعتقد أن الجسم يتألف من أجزاء صغيرة لا تنقسم أي ذرات لا تتجزأ ولا ترى بالعين .

وأقول عن كوننا الذي نعيش فيه ونعايشه أنه يختلف عن الكون الذي تعايشه الكائنات الروحية النورية أو يعايشه الإنسان في البرزخ بروحه الطليقة أو ربما المقيدة حسب أعماله في الدنيا وذلك لاعتبارات الاختلاف بين المادي وبين الروحي أو النوري وما يتعامل فيه كل منهما من ماديات وقوى وطاقات وخواص وخصائص النور المختلف عن المادي والمغاير لوجودنا وأن كنا لا نرصده أو نراه كما في حياة البرزخ : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:100] ، والبرزخ هو الحاجز بين الحياتين والوجودين الدنيوي والأخروي ..

وعلى ذلك فقد استعمل القرآن العظيم «الذرة» كوحدة قياس في الصغر ووحدة قياس في الوزن فذكر أن رمز الصغر المطلق في الكون هو الذرة وهو رمز عام أو شامل أو مشترك أو مطلق في القياس في الكون كما في الوزن الذري هو المقياس الرمزي للإحاطة بسلوك الإنسان كله ، وكل تفاصيله ساعة الحساب يوم القيامة .

وأخيرًا يحدثنا القرآن العظيم عن جزئيات الذرة الأصغر من وحدتها الكلية وذلك عند الحديث عن الحجم الذي وقوله :﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ ﴾ في سورة يونس أي من مثقال الذرة . فالعلماء كانوا عاجزين عن رؤية الذرة مباشرة ولكن أمكن للعلماء فقط إدراك صفاتها وفهم مميزاتها وتفاعلاتها مع الضوء ولكن في مرحلة زمنية سابقة أسيء فهم مقاصد وغايات النظرية الذرية (Atomism) من قبل البعض الذين اعتبروها مقابلة للإلحادية المادية ولم يتم بحث النظرية الذرية أو إحياؤها بصورة جدية إلا في العصور الحديثة (القرن 16 على وجه التقريب) وإذا كان العلماء لم يتمكنوا من رؤية ورصد الذرات وهي في حالة حركة وفي النهاية ثبت أن مفهوم ترابط الجزئيات والذرات مفهوم أساسي في علم الفمتوكيماء باعتباره المفتاح الرئيسي في التعرف على دنيا الجزئيات والتحكم فيها على المستوى الذري واكتشف عندها الدكتور أحمد زويل أن ذلك يكون باستخدام تقنيات تعتمد على استخدام الليزر وتمكن بكاميرا معينة أدق من اجهزة ليزر بيكو ثانية (وهي جزء من ألف بيكو من الثانية) من رصد الذرات وهي في حالة حركة وهكذا ولدت علوم جديدة مثل «الفيمتوكيماء» و«الفيمتوبولوجيا» و«الفيمتوثانية» التي ساهمت في ترويض المادة وقياس الزمن ، ورهنت هذه العلوم أن الجزئيات يمكنها أن تتحرك حركة مترابطة ومنتظمة لا تشوبها شائبة . وتعتبر فكرة قياس الزمن وتسجيل الأحداث وترتيبها ومراقبة ديمومتها في العالم الطبيعي إنجاز علمي .

وأنه مع التسليم بأن الآيات الكونية في القرآن العظيم قد وردت في معرض التذكير بقدرة الله وبديع صنعه فإنها تبقى بيانًا من الله تعالى خالق الكون ومبدع الوجود وهي لذلك كلها (حق مطلق)يؤمن به الراسخون في العلم ، كما هو يقول، ولذلك فإن قوانين الطبيعة وسننها في الكون تنسجم معها ،وكذلك تنسجم معها معطيات العلوم الحديثة فيما تفيد الآيات من (اليقين) عن حقائق الكون وفيما

تتميز به الدقة المتناهية في التعبير والثبات في الدلالة والشمول وبحيث تتميز الدلالات القرآنية بالسبق إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئًا منها قرونًا طويلة مع العلم أن العلماء يتحدثون عن نظريات (THEORIES) يصوغونها بينما القرآن يتحدث عن حقائق (FACTS) تصوغها آياته . فإذا تحدثنا –مثلا– عن النظريات الفيزيائية فإنها يجب أن تكون دائمًا متسقة مع نفسها – (SELF CONSISTENT) لأنها إن لم تكن كذلك أي كانت غير متسقة مع نفسها (INCONSISTENT) أو بها مضامين متناقضة فوفقًا للفيزياء العامة والرياضة فإن هذه الأمور هي العامل الذي يقضي على النظرية الفيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها .

هذا وأنه ليست هناك حقيقة علمية مطلقة تثبت باليقين الحق إلا وهي متفقة ومتوافقة مع نظيرها الذي يشير إليه آيات القرآن العظيم بل إننا نقول باليقين أن آيات القرآن العظيم تضفي الثبات والشمول والحق في المحتوى والحقيقة في المعنى المعلوماتي على المعلومة العلمية المتكشفة في الطبيعيات والكونيات والإنسانيات في معناها العام ودلالاتها وذلك لسبب بديهي وطبيعي بسيط قلناه من قبل وهو أن مفردات الكون والطبيعة ركبها الله تعالى الخالق على أساس علمه الذاتي في قرآنه الذاتي (قرآن الذات الإلهي) الشامل والمحيط بكل ما هو مخلوق وكائن وموجود في هذا الكون بسماواته وأراضيه ما ندركه منه وما لا ندركه ، فيما ترصده فيه وما لا نرصده ،ويمكننا أن نقول مع ذلك أن الإعجاز العلمي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله الخاتم ، القرآن العظيم .

ومع ذلك أحب أن أقول أن القرآن العظيم لا يتناول تفصيلات كل علم بما يتناوله من حقائق وتفاصيل ونظريات ومسائل وفروض ودقائق ، إذ ليس من طبيعة ذلك باعتباره دعوة وحجة فهو يهيئنا نحو الحق ويدعونا في ذلك إلى الأخذ

بالعلم واحترام العلم والعلماء والاستزادة من العلم ، كل أنواع ومجالات العلم ، والمستخدمة في إطار عقائد وأخلاقيات الدين وقيمه الروحية وفيما ينفع ويفيد ولا يضر أو يفسد .

وحينما نزلت الآيات الكونية في القرآن العظيم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة تتكلم عن السماوات والأرض وطبقاتها وجبالها وحيواناتها ونباتاتها ..إلخ والنجوم والكواكب والذرات وجزئياتها وعن بدء الخلق وعن خلق الجنين وتكوين الإنسان .. إلخ لم تكن علوم الفلك (الحديث) معروفة ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح ولا علم الأجنة والفسيولوجيا والإنثرولوجيا وغيرها إلخ .. معروفة كما هي معروفة حاليًا في عصرنا ولذلك يقول المرحوم الدكتور مصطفى محمود في كتابه «حوار مع صديقي الملحد» في فصل عنوانه «القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفا»(1) . «لم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمي المتخصص لأنه جاء في المقام الأول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع . ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لا يفهمونه .. ولهذا لجأ إلى أسلوب الإشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين وتظهر للناس جيلا بعد جيل كآيات ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق » وهو الذي يقول : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص:88] .انتهى

الدراسة التي أعدها موريس بوكاي

وأختتم هذا الفتح بالإشارة إلى الدراسة المتعمقة والموضوعية التي أجراها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (MAURIECE BUCAILLE) وأخرج بها كتابه الشهير «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» (LEBIBLE . LECORANET ET

(1) يمكن للقارئ الرجوع إليه إن شاء .

LA SCIENCE)[1] متضمنًا دراسة موضوعية للقرآن العظيم في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، وباللغة العربية التي درسها وأجادها الدكتور / بوكاي وخرج من دراسته بنتيجة أساسية وهي أن القرآن يثير وقائع كثيرة ذات صفة علمية وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن ، العلمية من وجهة النظر العلمية ويقول في كتابه : «ويفضل الدراسة للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العهد الحديث » انتهى ..

ومن الضروري أن ننوه أن القرآن الكريم كتاب منزل من خالق الكون العليم بأسراره وقوانينه وسننه ونواميسه لأنه هو الذي أبدعها وأوجدها وجعلها فاعلة ولذلك فمن العبث أن نعقد سباقا لا معنى له ولا يصح بين القرآن العظيم وبين علوم البشر لأنها حتى وإن بلغت في زماننا شأنًا عظيمًا ومبلغًا عاليًا وآفاقًا شاسعة فهي ليست إلا (شيئًا) ضئيلاً وبسيطًا من علم الله الشامل الكامل والمحيط بكل شيء وكما يقول القرآن ذاته :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ آية الكرسي .وكذلك كان السير جيمس جينس (الفلكي الكبير صاحب كتاب «الكون الغامض» متعجبًا ومندهشًا بما جاء في القرآن العظيم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ وقال بشأنه : «شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله .لقد كان محمد أميًا ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ولكن (الله) هو الذي أخبره بهذا السر .. مدهش .. وغريب وعجيب جدًا »[2].

(1) الذي ترجم من الأصل باللغة الفرنسية إلى اللغات العربية والإنجليزية الصربكرواتية والإندونيسية .

(2) عن مجلة (نقوش) الباكستانية وكما جاء في كتاب «كيف نتعامل مع القرآن العظيم» لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي .